

رسالة في

ترتيب السلوك الى ملك الملوك

تأليف

الشيخ جمال الدين محمد بن عمر بحرق الحضرمي

حققها وعلق عليها و قدم لها

الدكتور ظهیر احمد اظهر أستاذ مساعد

بجامعة پنجاب بلاهیر

© rasailojaraid.com

مقدمه

إن النظرة العابرة في تاريخ الآداب العربية لشبه القارة — الهندية الباكستانية — تقود الناظر البصير إلى شيء من التقدير والاكبار لما بذله علماءنا من المجهودات الجبارة المشمرة في خدمة اللغة العربية وعلومها وآدابها ، رغم الظروف المعادية والبيئة غير الملائمة لمثل هذه المجهودات والخدمات ، التي أنتجت التاجا باهرا ، و التي تركت آثارا مجيدة خالدة في تاريخنا . إن هذا الانتاج الباهر وهذه الآثار المجيدة تجعلنا نفتخر بها وتفرض علينا أن نقدرها كل تقدير ونعتني بها كل اعتناء كتراث عظيم يجب الاحتفاظ به ؛ و كذلك فانه لا يمكن لاحد أن يتجاهل هذا التراث الغالي أو ينكر مكانتها بين الآداب العربية في شتى البلاد الاسلامية على اختلاف العصور والاجيال -

و لسنا نبالغ إذا قلنا أن مكتبة الآداب العربية في شبه القارة لغنية جدا و تستحق كل إعجاب وتقدير وعناية من قراء العربية و الدارسين لآدابها ، و حتى من الناطقين بالضاد أنفسهم ؛ و فعلاً نراهم يقدرون لما أنتجه علماءنا و يعتنون بما وصل اليهم من مؤلفاتهم العربية فمنهم من قام بنشرها و أنشأ من المكتبات و دور النشر و الطبع التي تهتم بمؤلفات العلماء الهنديين اهتماما خاصا كمكتبة الخانجي بالقاهرة ، و منهم من عني بها دراسة و شرحا حتى أن المناهج الدراسية للآزهر الشريف تضم الكتاب حجة الله البالغة للإمام ولي الله الدهلوي الى جانب المؤلفات القيمة الاخرى لعلماء شبه القاره كالشيخ عبدالحكيم السيالكوتي و الاساذ الكبير عبدالعزيز الميمنى وغيرهما -

و مما يجدر الاشارة اليه بهذه المناسبة هو أن الدراسة المقارنة للاداب العربية في الاندلس وشبه القارة قد لا ترضى الكثير من الباحثين فقد دخلت اللغة العربية في كلا القطرين في وقت واحد وذلك في نهاية القرن الاول الهجرى مع الفتح الاسلامى ، الا أن العربية وعلومها لم تتقدم و لم تزدهر في شبه القارة كتمدها وازدهارها في الاندلس : أما السبب في ذلك فهو أن اللغة العربية لم تتمكن من أن تحتل مكانتها المرموقة في القطر الهندى في أية مرحلة من مراحل تأريخنا الطويل المحيط بكثير من القرون : أما في الاندلس الاسلامية فان اللغة العربية كانت قد احتلت مكانة سامية اذ اصبحت لغة رسمية للبلاد ولغة التخاطب والآدب والعلوم -

ان العقبة الوحيدة التى وقفت في سبيل اللغة العربية في شبه القارة و عرقلت سير تقدمها وازدهارها هى اللغة الفارسية ! و من ثم لم تكن العربية لغة رسمية للهند الاسلامية الا في الفترة القصيرة التى تلت الفتح الاسلامى على يد القائد المسلم محمد بن القاسم الثقفى و هى مدة الحكم العربى في بلاد السند و بنجاب و ما جاورهما من مناطق باكستان حالياً - ثم انقطعت الصلة المباشرة بين العالم العربى وشبه القارة و اصبحت الفارسية لغة البلاط و المكاتب الحكومية لجميع الدول الاسلامية التى قامت في شبه القارة في شتى الأزمنة و العصور ، و قد كانت ، و لم تزل الى انقراض الامبرا طورية المغولية ، لغة التخاطب و التعبير و وسيلة التكسب الى جانب كونها أداة التربية و التعليم في المدارس و المعاهد العلمية : أما العربية فانها كانت قد أهملت إهمالاً و اصبحت تعيش كانها لغة أجنبية إذ أعرض عنها المثقفون لانها لغة صعبة المثال واسعة النطاق ، و لان الفارسية و آدابها كانت قد شغلتهم عن العربية و أغتتهم عن علومها و آدابها حتى أن البعض منهم كانوا يعتقدون أن الدين الاسلامى يمكن أن يتعلموه و يعرفوا مبادئه بدون أن يحتاجوا الى معرفة اللغة العربية و قواعدها كما يزعم البعض من الفضلاء

في باكستان أن الواحد يستطيع أن يفهم القرآن الكريم ومصادر التشريع الاسلامي الاخرى بدون معرفة العربية وقواعدها وذلك من طريق ما كتبه المستشرقون باللغات الاوربية أو ما كتبه علماء المسلمين باللغة الاردوية !

ومع هذا كله فان اللغة العربية لم تزل و لن تزال تعيش في هذه البلاد و تعلن وجودها رغم هذه الظروف المتعددة لانها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي و لغة الدين الاسلامي بجميع مصادره و معارفه ! و لان المسلم ، في أى بلد كان و في أية زاوية من زوايا العالم عاش ، لا يمكن أن يعيش أو أنه لا يجوز له أن يعيش بدون معرفة اللغة العربية ، قليلها أو كثيرها و أن أول كلمة يسمعها المولود المسلم هي كلمة عربية أى كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ! هذه الكلمة الطيبة الخالدة التي تمنح أساسا قويا لعقيدة المسلم و تطهره من روائب الشرك و دنسه ! ثم أنه يسمع في الاذان قبل الصلوات الخمس كلمات عربية تشبه تلك الكلمة نفسها !

وكذلك فان المسلم الصادق يجب أن يعرف العربية مادام يؤمن بالله وحده و رسوله العربي الصادق صلى الله عليه و سلم حتى و لو كان لا يجيد القراءة و الكتابة أو لم يكن يعرفهما أصلا ، لان من الواجب الديني لكل مسلم أن يصلي الصلوات الخمس بالمواظبة والالتزام ، و معلوم بأن الادعية و الآيات الكريمة التي يقرأها المسلم أو يتضرع بها الى خالقه عز و جل في صلاته هي كلها بالعربية و قد أجمع أهل العلم من الامة الاسلامية على أن الصلوة أو الادعية و الآيات التي تتلى في الصلوات يجب أن تكون باللغة العربية و لا يجوز ترجمتها إلى لغات محلية إلا إذا تعذر على الانسان أن ينطق بالكلمات العربية أو يحفظها و ذلك مؤقتا لا دائما ، لأن الصلوة والدعاء وكذلك التلبية في الحج باللغة العربية من ملامح الوحدة الاسلامية الخالدة ؛ فمعنى ذلك أن العربية و الاسلام متلازمان ، وأينما وجد الاسلام و أتباعه يجب أن توجد اللغة العربية معهم بأي شكل كانت و

على أى مستوى كان وجودها ، إذ كل مسلم ينطق و يتكلم أو يجب أن ينطق و يتكلم باللغة العربية قليلها أو كثيرها و على اختلاف مستوياتها !

و هذا مما يذكرنى قول النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال مرة :
 ”من تكلم بالعربية فهو عربى و من أدرك له أبوان فى الاسلام فهو عربى“
 فهذا يدل على أن العروبة و الاسلام شئ واحد و أنهما كلاهما لا يقومان على أسس الجنس و الدم و انما يقومان على الأسس الروحية الخالدة من الوحدة البشرية و الأخوة الاسلامية السمحة ؛ و مما يروى فى هذا الباب أن قيس بن مطاطة جاء إلى حلقة من حلقات أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم و فيهم صهيب الرومى و سلمان الفارسى و بلال الحبشى رضى الله عنهم فقال قيس : هذا الأوس و الخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بال هؤلاء (يعنى صهيبا و صاحبيه) ! فقام معاذ ابن جبل رضى الله عنه فأخذ بتلايبيه ثم أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قاله قيس فقام النبى صلى الله عليه وسلم مغاضبا يحجر رداءه حتى دخل المسجد النبوى ثم نودى للصلاة فصعد المنبر فحمد الله و اثنى عليه ثم قال : ”أما بعد ! أيها الناس ! ان الرب رب واحد و الأئب أب واحد والدين دين واحد و أن العربية ليست لأحدكم بأب و لا أم ، انما هى لسان فمن تكلم العربية فهو عربى“ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ! فهذه هى الفكرة السامية التى ترفض فضل الجنس و الدم إطلاقا و تجعل من البشرية أمة واحدة يجب أن تعيش و تمشى على سنن العدل و الاخاء و المساواة ، و هذه هى الفكرة الخالدة نفسها التى شجعت علماء المسلمين دائما فى كل مكان أن يساهموا فى خدمة العربية و آدابها فقاموا بواجبهم نحو الدين و العربية فتعلموها و علموها و ألفوا بها مما أضاف إلى المكتبة العربية تراثا غاليا عظيما يجب الافتخار به و المحافظة عليه .

و علماء المسلمين في شبه القارة لم يتخلفوا في هذا الميدان ولم يهملوا واجبهم و إنما قاموا بما قام به أمثالهم من العلماء في البلاد الإسلامية الأخرى أو المناطق التي دخلها الإسلام ، و قد ظهر في هذه المنطقة - منطقة باكستان و الهند - عدد من العلماء الاعلام الا فذاذ قد خلدت الايام ذكراهم و ثبتت أمجادهم على وجه الدهور ؛ و علماؤنا هؤلاء يمكن أن نقسم إلى قسمين قسم نشأ و تنقف في شبه القارة و عاش فيها و قام بخدمة الدين و العربية من أمثال حسان الهند آزاد البلجرامى و الامام ولى الله الدهلوى و الشيخ عبدالحكيم السيالكوتى و الاستاذ الكبير عبدالعزيز الميمنى و غيرهم ، و القسم الثانى نشأ و ترعرع في البلاد العربية و تنقف في مراكزها الثقافية ثم هاجر إلى شبه القارة فأقاموا بها و قاموا بخدمة اللغة العربية و تركوا أثارا مجيدة في تاريخ الآداب العربية في شبه القارة كالشيخ أبى بكر السورقى صاحب المقامات و ابن الدامينى و عمر المكي صاحب "ظفر الواله بمظفر و آله" و من هؤلاء الفطاحل كان صاحبنا الشيخ محمد بن عمر المعروف ببقرق الحضرمى رحمه الله -

مولده : و قد ولد الشيخ الفقيه الامام البارع اللغوى الأديب الشاعر المتفنى القاضى العادل جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بن عبدالله بن على الحميرى الحضرمى اليمانى الشافعى العيدروسى الشهير ببقرق الحضرمى - رحمه الله - في ليلة النصف من شهر شعبان سنة تسع و ستين و ثمانمئة ' ببقرموت فنشأ بها و ترعرع ، و قد كانت حضرموت في تلك الحقبة من تاريخها مركزا ممتازا من المراكز الثقافية العربية يرجع إليها طلاب العلم و يتوافدون عليها من أقاصى البلاد فيتعلمون من علماءها ، وهنا بدأ الشيخ ببقرق دراسته و كان ذكيا جدا فحفظ القرآن الكريم أول ما حفظ ثم اخذ يحفظ المتون العربية المتداولة في ذلك الوقت فحفظ معظم الحاوى و منظومة البرماوى في الأصول

١- النور السافر ص ١٤٦ ، الضوء اللامع ٨ : ٢٥٣ -

و الفية ابن مالك بكمالها في القواعد العربية وغير ذلك ١-

رحلته للدرس و التحصيل : ثم نرى الشيخ بحرق الحضرمي يرحل رحلة طويلة للطلب و التحصيل و يسافر من أجل العلم اسفارا بعيدة فيزور كثيرا من المراكز الثقافية في البلدان و العواصم العربية فارتحل رحلته الأولى إلى عدن و بها كان الشيخ الامام عبدالله بن احمد مخزومة العدني المتوفى ١١٩٥ هـ قبلة للدارسين و المتوافدين ، فلزمه الشيخ بحرق مدة طويلة و درس عليه العربية و قواعدها و آدابها و الفقه و أصوله و العقائد و مبادئها و استفاد منه كثيرا حتى أن المصادر عن ترجمة الشيخ بحرق تكاد تجمع على صراحة القول بأن جل انتفاع الشيخ بحرق الحضرمي كان بالشيخ مخزومة العدني المذكور ٢-

ثم نرى الشيخ بحرق يسافر من عدن الى مركز ثقافي آخر كان قد أصبح من أكبر المراكز الثقافية و أهمها في المنطقة في ذلك الوقت ، وهي مدينة زبيد باليمن ، و كان بها عددا كبيرا من العلماء البارزين المتضلعين في أنواع العلوم العربية و المعارف الاسلامية فأكمل الشيخ بحرق دراساته بزييد و قرأ على فضلائها الاعيان من علوم التفسير و الحديث و الاصول و الفقه و العقائد إلى جانب قواعد اللغة العربية و آدابها ٣ ؛ و ممن استفاد منهم الشيخ بحرق الحضرمي : الشيخ محمد بن احمد باجر فيل الحضرمي المتوفى ١٢٠٣ هـ و الشيخ جمال الدين محمد بن ابي بكر الصائغ المتوفى ١٢٠٥ هـ و الشيخ زين الدين محمد بن عبداللطيف الشرجي و الشيخ محمد بن احمد بافضل و الشيخ السيد الشريف الحسين بن عبدالرحمن الاهدل و غيرهم -

١- نفس المرجع -

٢- الزهراء ٤ : ٩٦ ، النور السافر ص ١٤٦ ، نزهة الخواطر ٤ : ٣٠٨ -

٣- نفس المرجع -

التصوف و الطريقة : وبينما هو يقيم في مدينة زبيد و يستفيد من علمائها و يتنقل بين مجالسها و نواديها إذابه يميل إلى التصوف والطريقة كما كان يميل إليها العلماء من أمثاله في ذلك العصر الذي يتميز بنزعاته المتصوفة و حركات الصوفية المختلفة في شتى البلاد الاسلامية فاتصل الشيخ بحرق بالطريقة العيدروسية المتعارفة في بلاد حضرموت و عدن و اليمن و المدن الساحلية الأخرى فانضم الى هذه الطريقة و بايع على يد صاحبها الشيخ ابي بكر الحسين بن عبدالله العيدروس المتوفى سنة ٥٩١٧ هـ ثم اتصل بابنه الشيخ أحمد بن الحسين العيدروس المتوفى سنة ٥٩٢٢ هـ كما أنه أفاض عليه من المتصوفة و أصحاب الطرق الشيخ الامام السيد الشريف الحسين بن عبدالرحمن الاهدل الذي البسه خرقة التصوف^١ -

و مما يجدر الاشارة اليه بهذه المناسبة هو أن صاحب النور السافر قد حكي عددا من الكرامات للشيخ بحرق الحضرمي التي صدرت منه في حضرة الملك المظفر و صرح بأنها ترجع كلها الى بركة الشيخ العيدروس المذكور ولنستمع الى بعض ما يحكيه في ذلك فيقول إن الشيخ بحرق الحضرمي كان قد حضر مجلس بعض الوزراء للملك بالهند و كان في ذلك المجلس رجل من الساحرين يأتي بالشعابذ الغريبة فيبينهاهم كذلك اذا ارتفع ذلك الساحر و قعد في الهواء ؛ قال الشيخ بحرق : فوقع في قلبي شئ من ذلك الباطل و استغثت بالنبي صلى الله عليه و سلم و أومات الى الساحر بفردة - من حذائي فما زالت تضربه و هو معلق في الهواء الى أن رجع مكانه بالأرض ؟ و مما حكاه شمس الشموس بهذه المناسبة أنه وقع بينه - أي الشيخ بحرق - و بين بعض وزراء الملك المظفر بحث فاحتقره ذلك الوزير مما أغضب الشيخ و

١ - النور السافر ص ١٤٦ -

أحزنه فدعا على الوزير و انصرف ثم حدث بعد ذلك حادث جعل الوزير يندم على ما فعله بالشيخ و جاء يرجوه العفو والسمح عنه و هو أن الملك أصدر الامر بنهب بيت الوزير ومصادرة ما يملكه ففزع الوزير الى الشيخ معتذرا مستعظفا و قدم له شيئا من الصلة و الهدية و طلب منه الدعاء له فحسب أنه فعل ذلك و اذا بالخبر يأتيه من عند السلطان بالاجلال و التعظيم و يرد جميع مانهب له من الاموال و أن الذي وقع من ذلك انما كان غلطا و خطأ فان الملك كان قد أصدر ذلك الامر عن وزير آخر غيره ، و يصرح شمس الشموس صاحب النور السافر بأن هذه الكرامات ترجع الى أم الفقيه بحرق وكانت من جوارى الشيخ العيدروس و كان الناس يرون أن تلك البركة كانت في الشيخ بسبب هذه الامم !

الحج و الزيارة : و تكاد تجمع المصادر و المراجع عن حياة الشيخ بحرق الحضرمي أنه خرج حاجا يقصد الحرمين الشريفين في سنة أربع وتسعين و ثمانمئة من الهجرة النبوية فقدم مكة المكرمة و قابل بها الشيخ العلامة الحافظ أبا عبدالله شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى القاهري الشافعي المتوفى ٩٠٢ هـ فآخذ عنه و استفاد و سلك السلوك في التصوف عنده ، و قد ترجم له السخاوى في الضوء اللامع و أثنى عليه كثيرا كما أنه انشد نبذة يسيرة من جيد شعره ؛ و يبدو أن الشيخ بحرق لم يمكث طويلا في الحرمين و انما رجع سريعا الى بلاد اليمن بعد الحج كما يؤمى اليه كلام السخاوى نفسه ، الا أن هذه الرحلة كانت مباركة خصبة فقد استفاد في خلالها من العلماء من امثال الامام السخاوى و اخذ عنه التصوف و الطريقة الى جانب اداء حجة الاسلام و زيارة الحرمين الشريفين^٢ -

١ - نفس المرجع -

٢ - الضوء اللامع ٨ : ٢٥٣ -

اولاد الشيخ بحرق : لاتنص المصادر عن حياة الشيخ على أولاده الا أن السخاوى وغيره من المترجمين للشيخ بحرق يصرحون بانه كان قد تزوج و رزقه الله بالاولاد أما عن كيفية ما رزق به فاننا لانعرف في ذلك شيئاً ، كل ما ذكره السخاوى في ذلك هو أن الشيخ بحرق كان قد صاهر الشيخ حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي بكر التقي الناشري المولود في شوال ٨٣٣ هـ و المتوفى بمكة في ٨٨٦ هـ ؛ و الظاهر البديهي أن الشيخ الناشري كان قد توفى قبل عقد القران بشماني سنوات ، وقد كان من علماء اليمن و تلاميذ السخاوى كما صرح به في الضوء اللامع^١ -

منصب القضاء : و بما يدل على مكانة الشيخ العلمية و علو كعبه في الفقه الاسلامى و فروعه أنه أسند اليه منصب القضاء في الشجر وهى صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن و عمان ، دعاه اميرها أن يحتل هذا المنصب ، فتولاه لمدة يسيرة فصعد بالحق و حمدت أحكامه و حسنت سيرته الى أن استقال و عزل نفسه من هذا المنصب لأسباب لايعرفها الا الله^٢ -

في عدن : و من الشجر خرج الشيخ بحرق يقصد مدينة عدن التى كان بها ضريح أستاذه و شيخ طريقته ابى بكر العيدروس فاستقبله أهلها و رحبوا به ترحيباً و اجتمع حوله جموع من المستفيدين منه و القارئین عليه حتى أنه تلقى القبول العام و الجاه التام عند امير عدن و هو مرجان العدنى ، وقد كان يحب العلم و أهله و ينفق عليهم من خزائنه و يقدرهم كل التقدير ، فلم يزل الشيخ بحرق الحضرى فى بلاطه و حاشيته يفيد العامة بعدن و يفيض العلم على أهلها الى ان مات الامير مرجان فى نهاية العقد الثالث من القرن العاشر الهجرى^٣ -

١- ٨ : ٢٥٣ -

٢- النور السافر ص ١٤٦ ، نزهة الخواطر ٤ : ٣٠٨ -

٣- نفس المرجع -

في ولاية كجرات بالهند : وقد كان أهل العلم في البلاد العربية و العواصم الشرقية يسافرون الى الاندلس ، اذا لم يجدوا لهم من بقدرهم ويقوم بما يحتاجون اليه ، ليتمتعوا بما لدى الخلفاء الأمويين أو ملوك الطوائف من الحفاوة و التقدير للعلم و أهلها أو يحتلوا مكانة في نفوس الشعب المسلم الاندلسي الذي لم يكن أقل تقديرا للعلم و أهلها من الملوك و الحكام و الأمراء الا أن ذلك لم يدم فاحتاج أهل العلم من العواصم العربية الشرقية أن يعبروا البحر في ناحية من النواحي فلم يكن أمامهم طريق غير الطريق الى شبه القارة الا أن أسواق العربية و علومها في هذه البلاد لم تكن نافقة كما كانت في الاندلس لأسباب قد ألمنا بها الماما في بداية هذا البحث ، ولكنه لا بد مما ليس منه بد ، فارتحل الشيخ بحرق الحضرمي من عدن بعد أن توفي بها ولى نعمته مرجان أمير عدن ، و ركب البحر يقصد ولاية كجرات التي كانت تحكمها أسرة مالكة من المسلمين تقدر العلم و أهلها و تنفق عليهم من خزائنها و تقربهم في بلاطها و حاشيتها -

و في هذه الفترة من التاريخ التي وصل الشيخ الى الهند في خلالها كان يحكم بلاد كجرات الملك المظفر احمد بن محمود المتوفى سنة ٥٩٣٢ هـ ، وقد كان رجلا فاضلا محبا للعلم و أهلها ، و كان علماء العرب و العجم يقصدونه و يفدون عليه فيكرمهم في حضرته و يشجعهم على القيام بخدمة اللغة العربية و علومها و آدابها فاتصل الشيخ بهذا الملك الفاضل العادل فرحب به و قربه اليه و أكبره و أنزله المنزلة التي لا يستحقها الا الأمراء و الوزراء ؛ وقد اشتغل الشيخ بحرق ، وهو في حضرة الملك المظفر ، بالقرأة و التأليف الى جانب القيام بالاقراء و التدريس ؛ وقد كانت هذه الفترة القصيرة من حياته فترة خصبة من ناحية الانتاج العلمي ، اذ الف في خلالها من الكتب و الرسائل في شتى الموضوعات حتى أن معظم مؤلفاته ترجع الى هذه الفترة نفسها ، كما أنه قرأ عليه نخبة من العلماء و استفادوا من فضله و استفادوا

من علمه الغزير^١ -

وفات الشيخ : و يبدو أن المكانة الممتازة التي احتلها الشيخ بحرق الحضرمي في نفوس المستفيدين منه و المتوافدين عليه من طلاب العلم والمنزلة الرفيعة التي فاز بها في حضرة الملك قد جعلت الكثيرين يحسدونه ورأى عباد الدنانير و الدراهم بأن وجوده في البلاط الكجراتي يضر مصالحهم الشخصية ، فبدأوا يتآمرون ضده و يدبرون للقضاء على حياته ، فيقال ان بعض الوزراء المتحاسدين المعادين له دمّوا السّم في طعامه فمات الشيخ رحمه الله ، مسموما في العشرين من شهر شعبان سنة ١٠٩٣ هـ (١٥٢٢ م) ، وقد قارب الثمانين^٢ .

فضل الشيخ و مكانته العلمية : ان الآثار العلمية التي تركها الشيخ بحرق الحضرمي قد اكتسبت له مكانة ممتازة في تاريخ العلوم العربية لشبه القارة و من ثم نرى المترجمين له يشنون عليه و يقدرّون لما قام به من الخدمات في سبيل اللغة العربية و آدابها ، فقد قال عنه عمر المكي الآصفي^٣ : ” انه كان من الائمة المتبحرين في المنطوق و المفهوم و المنثور و المنظوم “ ، و يقول عنه أحد الحضارمة فيما كتب في تراجم علماء حضرموت : ” الفقيه محمد بن عمر بحرق كان من العلماء المبرزين والائمة المحققين ، ما اقام بموضع الا و أنت اليه الرياسة في جميع العلوم ، وكان سيفاً قاطعاً بالرد على اهل البدع “^٤ ، و مما أثنى عليه صاحب النور السافر في ترجمته له^٥ : ” وكان (الشيخ بحرق) من العلماء الراسخين والائمة المتبحرين ، اشتغل بالعلوم ،

١- ظفرالواله ١ : ١١٩ ، نزهة الخواطر ٤ : ٣٠٨ ، النور السافر ص ١٤٦ .

٢- نفس المصدر .

٣- ظفرالواله ١ : ١١٩ .

٤- الزهراء ٤ : ٩٦ .

٥- النور السافر ص ١٤٦ .

و تفنن بالمتطوق منها و المفهوم ، و تمهر في المنشور و المنظوم ، و كانت له اليد الطولى في جميع العلوم ، و صنف في كثير من الفنون كالحدیث و التصوف و النحو و الصرف و الحساب و الطب و الادب و الفلك و غیر ذلك ، و ما رأيت أحدا من علماء حضرموت أحسن ولا أوجز منه . . . و له نظم حسن و هو أحد من جمع بين ديباجتي النظم و النثر ، فنثره منشور الرياض جاء بها السجائب و نظمه منظوم العقود زانتها النجور و الترائب .

و مما يدل على غزارة علمه و خصبة ذهنه و علو كعبه في اللغة العربية و آدابها قول الشيخ عبدالله بن عمر مخزومة الحضرمي في تاريخه لحضرموت و علمائها انه هو الشيخ الامام البارع النحوي اللغوي الاديب ، و قد قال فيه أحد الشعراء و هو يمدحه على تلقيبه ببهرق :

لاي المعاني زیدت القاف في اسمكم
وما غیرت شيئا إذا هی تذكر
لأنك بحر العلم و البحر شأنه
إذا زید فيه الشئ لا يتغير

و فيه يقول الآخر :

فأنت بحر وقاف ماله طرف
محمد اسمك المعروف موصوفاً

و يذكر عبد القادر العبد روس^١ بانه وجد ورقة بخط الشيخ بهرق جاء فيها بفرع فقهی غریب یبني على ما عرف عند الفقهاء من أن كل ما كان بناءه الظن الفاسد لا يترتب عليه أحكام الشرع ، و هذا نص الفرع الذي استخرجه الشيخ على أساس هذا الاصل : "لو صدر منه لفظ محتمل للمطلاق

١ - النور السافر ص ١٥٠ .

فظنه طلاقاً أو أفتاه جاهل بوقوع الطلاق البائن فأقر عند الشهود أنه طلقها أو أنشأ طلاقاً آخر مع اعتقاده بانها قد بانت باللفظ الأول ، لم يؤاخذ باقراره ولم يقع الطلاق الثاني لانه مبني على ظن فاسد“.

أما مؤلفات الشيخ بحرق فهي كثيرة غزيرة و ناهيك ما قال عنها شمس الشموس : و بالجملة فانه كان آية من آيات الله تعالى و كتبه تدل على غزارة علمه و كثرة اطلاعه ، و كان غاية في التحقيق وجودة الفكر و التدقيق“ و هذه المؤلفات ، التي تتناول شتى الموضوعات و المواد كالتفسير و الحديث و السيرة و التاريخ و العقائد و الفقه و التصوف و الكلام و الأدب و الموسيقى ، يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة أنواع فالنوع الأول ماتم تحقيقه و نشره ككتاب نشر العلم في شرح لامية العجم ، يوجد له عدة نسخ و قد طبع في القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ ؛ و تحفة الأحياب و طرفة الأصحاب“ في شرح ملحة الاعراب و قد طبع في القاهرة أكثر من مرة ؛ و رسائل بحرق الحضرمي و هي أربعة رسائل تحتوي على أسئلة و أجوبتها ، و قد فرغنا من تحقيقها و نشرها في مجلة الكلية الشرقية بـ لاهور سنة ١٩٧٤ م ؛ و ترتيب السلوك الى ملك الملوك و هي الرسالة في التصوف و السلوك بين يدي القاري الكرمي الآن .

أما النوع الثاني من مؤلفات الشيخ فهو ما لم يطبع بعد و يوجد لها نسخ في شتى مكتبات العالم كترجمة المستفيد و متعة الأسماع بأحكام السماع و العقد الثمين ؛ أما النوع الثالث من مؤلفات الشيخ فهي التي لم يعثر على وجودها و لم يبق لها الا الأسماء و هي : تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية و الأسرار النبوية في اختصار الأذكار النووية و مختصر الترغيب و الترهيب للمبذرى و الحديقة الانيقة في شرح

العروة الوثيقة وعقد الدر في الايمان بالقضاء والقدر والحسام المسلول على مبغضى الرسول والعقيدة الشافعية و مختصر المقاصد الحسنة و حلية البنات و ذخيرة الاخوان و النبذة المنتخبة ومواهب القدوس و رسالة في الحساب و شرح لامية ابن مالك و رسالة في الفلاح و ارجوزة في الطب و فتح الرؤف في معاني الحروف^١.

شعره : و قد تولع الشيخ بحرق الحضرمي بالشعر وتعاطاه و أجاده لأن الله سبحانه و تعالى كان قد منحه فكرة عميقة و بصيرة ناقدة و فطنة للغة الى جانب القريحة الخصبة و المعرفة الشاملة باللغة العربية و أساليبها الشعرية ؛ و مع أنه قد ظهر في عصر من عصور الزوال والانحطاط كسدت فيه العلوم و درست الآداب و قصرت الهمم و كلت العزائم و أزهدت الصناعة المتكلفة روح الشعر فلم يعد له لب ولا عمق من المعاني غير الكلمات الرنانة و التراكيب الضخمة التي كانت تصيغها الطبائع المتكلفة و القرائح المتصنعة العاجزة عن الابتكار والتوليد ، الا أن الشيخ الحضرمي قد استطاع أن يحقق مكانته في الشعر العربي فنراه يعالجه على شتى أصنافه المتداولة في عصره و يفتن في هذه الصناعة ما يشاء و يجيد في القصائد و المقطوعات و الموشحات والأزجال و المنظومات الفنية فهو في هذا يشبه شعراء الاندلس و يقلدهم في كثير من الأشياء .

و يمتاز شعر الشيخ بلفظ سهل رقيق و اسلوب محكم و ثيق ، كما أنه يصطبغ بقصاحة اللفظ و رشاقة المنوال ، ولسنا نبالغ اذا قلنا انه يتزعم الشعراء الفقهاء المتأدين من أمثاله و في عصره خاصة و في شبه القارة على وجه أخص كما أنه يتفوق صاحبه بدر الدين الدماميني الذي هاجر مثله من البلاد

١- فلفر الوله ١ : ١١٩ ، النور السافر ص ١٤٦ ، نزهة الخواطر ٤ : ٣٠٨ ، الزهراء ٤ : ٩٦ .

العربية و قصد ملوك كجرات المظفرين والذي لقي الترحيب منهم كما
لقيه الحضرمي و تناول نفس الموضوعات و الفنون التي تناولها مولانا
الحضرمي .

و من جيد شعره ما قاله في الرد على من امتحنه من بعض معاصريه
و هو يجهل فضل الشيخ و علو كعبه في الشعر العربي :

يا من أجاد غداة انشد مقولا
و أفاد من احسانه و تفضلا
ان كنت ممتحنى بذلك فاني
لست الهيوبه حيشا قيل أنزلا
و اذا تبادرت الجياد بجلبة
يوم النزال رأيت طرفي أولا
قسماً بآيات البديع و ما حوى
من صنعتيه موشعا و مسلسلا
لو كنت مفتخرا بنظم قصيدة
لبنيت في هام المجرة منزلا
من كل قافية يروق سماعها
و يعيد سبحان الفصاحة باقلا
و ترى لببديكم بليدا قلبه
حصرا و ينقلب الفرزدق أخطلا
و على جرير نجبر مطرف تيمنا
و مهلهلا نبديه نسجاً مهلهلا

١- ظفر الواله ١ : ١١٩ ، النور السافر ص ١٤٦ ، نزهة الخواطر ٤ : ٣٠٨ .

٢٣٠

ولئن تنبأ ابن الحسين فأنى
 سأكون في تلك الصناعة مرسلا
 أبدى العجائب ان برزت مفاخرا
 أو مادحا للقوم أو متغزلا
 لكننى رجل أصون بضاعتى
 عمن يساوم بخسها متبذلا
 وأرى من الجرم العظيم خريدة
 حسناء تهدى لليثم و تُنحلا

وله قصيدة مسمطة على منوال الموشحات الأندلسية يمدح بها شيخه أبا بكر
 العيدروس فيقول :

سأبشيح بالغرام كم ذا تستر بعشيقى
 و أرفع ذا اللثام أو خذ نصيبى ورزقى
 و زدنى فى الملام يا عاذل لا تنبئنى

و أستر ذا الكلام فى كل غرب و شرق

ما للناس معى إذا هويت كل رعى
 و أحنيت أصبعى فى عشق سلمى و لبنى
 و أصغى سمعى لكل معنى و مغنى

و سأشرب من مدام الحب يا صاح و اسقى

ما فى الحب عار كلا و لا فيه من بأس
 سأخلع ذا العذار و أحمله شعري على الرأس

و أعصى من أشار و أترك رضا الناس للناس

من كل مستهام مثلى فيأتى بشقى

و الله العظيم لا أرعوى للعواذل
لى رب كريم بجوده الكل الشامل
كدر يا نديم من مطربات البلابل

خذ له يا غلام الدف من كل طرق

سأصريح و أقول عشقت زيد المسمى
و أغنم ذا القبول من قبل إمّا و أمّا
ما للناس من فضول من ها بهم مات غمّا

دعهم فى سلام يسعدهم الله و يشقى

سأثر فى الجلوس عقود در و عقيان
فى ابن الغيدروس على المقامات والشأن
منفوس النفوس و منتهى كل انسان

طال عمره و دام لكل فتق و رتق

و بمن مدحهم الشيخ بحرق الحضرمى السلطان عامر بن عبدالوهاب
الملك الظافر صلاح الدين الايموى (من ٨٩٤ الى ٩٢٣هـ) آخر سلاطين
اليمن من بنى طاهر و ذلك لما قام به من الاعمال الخيرية النافعة فى عدن
و تعز و زيد كما ذكره الشيخ الامام شمس الدين السخاوي و قال إن

الحضرمى كان قد أنشده هذا الشعر حين لقيه بمكة وأخذه عنه :

أبي الله إلا أن تحوز المفاخر
فسمّاك من بين البرية عامراً
عمّرت رسوم الدرس بعد دروسها
وأحييت آثار الاله الدوائر
فأنت صلاح الدين لاشك هذه
شواهد تبدو عليك ظواهر

وهي نحو عشرين بيتاً ؛ و مما استدح به هذا الملك الصالح الخير هو بيت
واحد يحتوى على عشر كلمات :

يا رب كن أبداً معيناً ناصر
شمس الملوك صلاح دينك عامراً

ثم ضمنه في أربعة أبيات يستخرج منها الضمير من العشر وهي :

أيّدت دينك يا رب العلا أبداً
بناصر لملوك الأرض قد ضهدا
أعنى به عامراً شمس الملوك فكن
ظهيره أبداً في كل ما قصدا
و ناصر و معين فهو شمس ضحى
أخفى نجوم ملوك الأرض منذ بدا
سميته عامراً لما أردت به
صلاح دينك ارغاماً لمن جحد

و مما يستحسن من شعر بحرق الحضرمي قوله يرثي الشيخ أحمد بن
أبي بكر العيدروس :

لمن تبني مشيدات القصور
و أيام الحياة الى قصور
و حتى م التهاك و التفاني
على الخداعة الدنيا الغرور
فما يغتر بالدنيا لبيب
و لو أبدت له وجه السرور
فغاية صفوها كدر و أقصى
حلاوتها الى الكاس المرير
الم تركيف هددت ركن مجد
و فاضت بحر مكرمة زخور
وروّعت الأثام بفقد شخص
رزقته على بشر كثير
شهاب ثاقب من نور بدر
تبقى من شمس من بدور
نماه العيدروس و كل قطب
غياث للورى فرد شهير
تناثر عقدهم نجما فنجما
تغيب تحت اطباق الصخور
فوا أسفا على أطواد حلم
إذا استشككت ملتمات الامور

٢٣٣

و واحزنّا على تيار جود
يمد بصيب الغيث الغزير
ويا لهفا على اخلاق لطف
يفوق الزهر في الروض النضير
لئن ذهبوا فقد ابقوا فخارا
يضيق بحصره صدر السطور
ففاقوا الناس احياء و فاقت
ضرائعهم على أهل القبور
فلا يأتى الزمان لهم بمثل
وهل للشمس ويحك من نظير
على تلك الوجوه سلام رب
رحيم غافر برّ شكور
الهي كن لنا خلفا و ذخراً
فانك جابر العظم الكسير
وصل على أجل الخلق قدرا
يمد البشير لنا النذير
و من والاه من آل و صحب
على مرالاصايل و البكور

و من دأب العلماء المتفنين و الفقهاء المتولعين بالشعر أنهم ينظمون
الالغاز و المعميات العلمية المشككة الغريبة ، و غرضهم من ذلك تحقيق
مكائهم العلمية و التأثير في نفوس المخاطبين ، و قد نحا نحوهم صاحبنا هذا
و نظم عددا من الالغاز فمن ذلك قوله :

يامتقناً كلمات النحو أجمعها
حدا و نوعاً و افراداً و منتظمه

ما أربع كلمات وهى أحرفها
أيضا و قد جمعتها كلها كلمة

وقد حل هذا اللغز نثراً فقال : هذا تمثيل الوقف على هاء السكت يعنى قولك : كلمة ، فالكاف فى قولك : كلمة للتمثيل واللام للجبر والميم أصلها ما الاستفهامية حذف ألفها والهاء للسكت !

وقد لا نصف الشيخ حقه اذا أهاننا جانباً هاماً من شعره وهى القصائد والمنظومات التى نظمها فى شتى الأغراض والفنون ، فيحدثنا شمس الشموس صاحب النور السافر بأن السلطان عامر بن عبدالوهاب كان يرسل الشيخ حسين بن عبدالله العيدروس بقصائد يخبر فيها الشيخ بأمره ويطلب منه الدعاء فكان الشيخ الفقيه بحرق ، وهو فى حضرة العيدروس ، يجيب السلطان عنها ، وهذه القصائد مع أجوبتها مذكورة فى كتاب الشيخ احمد بن الحسين العيدروس الذى صنفه فى أخبار والده ، وهى فى غاية الفصاحة والبلاغة ، وأعظم شاهد على فضل مولانا بحرق الحضرمى وما اوتى من قريحة سمحة فياضة .

ومما نظمه الشيخ بحرق فى الفنون قصيدة عظيمة سماها العروة الوثيقة فى الجمع بين الشريعة والحقيقة ثم قام هو نفسه بشرح العقيدة فسامها الحديدية الاثيقة ثم علق عليها الشيخ عبدالقادر العيدروس وسمى التعليق بالحواشى الرشيقة ؛ وله قصيدة من هذا النوع ختم بها شرحه لمصلحة الاعراب وحث فيها الطالب على علم العربية عامة وبتلك المنظومة خاصة فيقول :

ان شئت نيل العلم والآداب و براعة فى فهم كل كتاب
و تلاوة القرآن حق تلاوة لفظا وتفسيرا وفصل خطاب
و تلاوة السنن المنيرة تابعا آثارها مستوحيا لصواب
و بلوغ غايات البلاغة عارفا بمواضع الإيجاز والاطناب

فأبدأ بعلم النحو فهو أساسها
و متى أردت النجح فيه باديا
رحم الاله امامها من ناظم
حاز الفضيلة سابقا في نظمها
و أجاد في ايضاحه و بيانه
فجزاه رب الناس خير جزائه
و أحله دار الكرامة عنده
و كذا مشائخنا و إيتانا معا
ثم الصلوة و السلام على النبي
لا يمتري في ذا ألوالالباب
فاشدد يديك بملحة الاعراب
محض النصيحة معشر الطلاب
من قبله و أتى بكل عجاب
و الضرب للأمثال و الالعاب
عنا و آتاه جزيل ثواب
بالفوز و الزلفى و حسن مآب
و الوالدين و سائر الاحباب
المصطفى و آل و الاصحاب

رسالة في ترتيب السلوك الى ملك الملوك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين و على آله و صحبه اجمعين و التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، أما بعد فهذه نبذة في ترتيب السلوك الى ملك الملوك جل و علا ، مشتملة على مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة ، فالمقدمة في حقيقة الوصول الى الله تعالى و القرب منه ، و الفصول في مسافات السير الى الله تعالى ، و الخاتمة في آداب الخلوة ، و بالله التوفيق -

مقدمة ، اعلم^١ أن حقيقة الوصول الى الله سبحانه و تعالى هو وصولك الى العلم بجلاله و جماله و كماله و قدسه ، و ما يجب له من الكمال و استحيل عليه من النقص ، و ما يجوز عليه و ما لا يجوز ، و ذلك كله على ثلاث مراتب : نطق باللسان مع اعتقاد جازم بالجنان ، و علم بإقامة البرهان ، و حال بالشهود و العيان ، و حقيقة القرب منه سبحانه و تعالى أن تشهد بقربه منك ، و ذلك ببلوغ مقام الاحسان المسبوق بمقامي الاسلام و الايمان ، فعلمت من هذا أن الوصول اليه هو القرب ، و أن له بداية هي القيام بالجدود ، و غاية هي العيان و الشهود ، و القرب و الوصول لا يكونان الا بسير ، و السير هنا معنوي لا حسي ، و المقصد كلما شرف مقداره و عز ،

١- في الاصل المخطوط : "علم أن" و الصواب ما أثبت -

كان الطريق إليه أشق وأخوف وأخطر ، ولكن من عرف ما يطلب^١ ،
هان عليه ما يبذل ، فليكن طلبك لربك بقدر حاجتك إليه و شرفك به -

وقد تلخص مما أشرنا إليه أن السير الى الله سبحانه قطع ثلاث مسافات :
الاولى سير المريد من ظاهره الى نفسه ، الثانية سيره من نفسه الى قلبه ،
الثالثة من قلبه الى ربه ، وحينئذ تنتهى مسافات السير الى الله تعالى و
يبتدىء في مقامات السفر في الله عز وجل ، و هو مير الواصلين الى الله تعالى
وذلك غير متناه في الدنيا ولا في الآخرة ، فان مقامات القرب الى الله تعالى
غير متناهية ، لان القرب منه هو المعرفة بصفاته^٢ العلى ، و نعوت جلاله
و جماله غير متناهية فلا يزال الواصل إليه يترقى من مقام قريب الى أقرب
منه في الدنيا و البرزخ و الفردوس الأعلى الى أبد الآباد ، و من كان قد وصل
الى مقام قريب الى أقرب منه في الدنيا فهو أعلى مقاما عند الله تعالى ممن دونه
و دون من فوقه ، ولا يزال يترقى فلا يدرك من فوقه و لا يدركه من تحته ،
يبتغون الى ربهم الوسيلة^٣ أيهم أقرب ، و السابقون السابقون أولئك
المقربون^٤ ، و في ذلك فليتنافس المتنافسون^٥ ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم
من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون^٦ -

الفصل الاول في سير المريد من ظاهره الى نفسه المعبر عنه بالشرعية
و هو اتباع الصراط المستقيم ، صراط الله ، و إن تطيعوه تهتدوا ، ”ان كنتم

١- في الاصل : ”من عرف و ما يطلب“ -

٢- و في الاصل ”لعل“ محرفا -

٣- ١٧ (بنى اسرائيل) : ٥٨ -

٤- ٥٦ (الواقعة) ١٠ ، ١١ -

٥- ٨٣ (لمطففين) ٢٦ -

٦- ٣٢ (السجدة) ١٨ ، و في الاصل بما كانوا يعلمون محرفا -

٧- و في الاصل : ”المعتبر“ و هو تحريف -

تحيون الله فاتبعوني^١ . . . وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم^٢ ، ولهذا السفر عدة^٣ ، وهو العلم الظاهر ، وبضاعة وهو امتثال الامر واجتناب النهي ، وريح وهو الصلاح ، أما العلم الذي هو عدة هذا السفر ، فهو علمان : علم أصول وعلم فروع ، فأما علم الاصول فهو علم الايمان المخاطب به القلب المشار إلى أصوله الستة بقوله صلى الله عليه وسلم : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره (من الله تعالى) ، ومحل ذلك كتب أصول الدين ، وأحسنها كتاب قواعد العقائد من الاحياء^٤ للإمام الغزالي رحمه الله تعالى ، وأحضرها أبيات الشيخ عبدالله بن اسعد اليافعي^٥ رحمه الله تعالى ، وقد شرحها ببسيط ووسيط وجيز -

و أما علم الفروع فهو علم الاسلام المخاطب به الجوارح المشار إلى أصوله الخمسة^٦ بقوله صلى الله عليه وسلم : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا ، ومحل ذلك ربع العبادات من كتب

١- ٣ (آل عمران) ٣١ -

٢- ٢٤ (النور) ٦٤ -

٣- وفي الاصل غدة وهو تصحيف -

٤- صحيح مسلم كتاب الايمان الحديث الخامس والسابع منه -

٥- راجع احياء علوم الدين ١ : ٦٧ من طبعة الشيخ موسى الكنتي بمصر ، ٥١٣٢٦ -

٦- هو عفيف الدين عبدالله بن اسعد بن علي (٦٩٨-٥٧٦٨) ولم أطلع على ابياته ولا على شروحات الثلاث -

٧- رواه البخاري ومسلم في كتاب الايمان ، وفي الاصل : إلى أصوله الخمسة محرفا -

الفقه ، وأحسنها كتاب الأذكار^١ للشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى إلا أنه مقصور على الأقوال دون الهيئات والأفعال ، وقد اختصرته في نحو ربع حجمه ، وأضفت إليه مع ذلك زيادات كثيرة تشتد حاجة السالك إليها -

وأما العمل الذي هو بضاعة هذا السفر فهو قسمان : امتثال الأوامر المسمى البر و اجتناب المناهي المسمى التقوى ، فأعمال البر من الطهارة والصلاة والتلاوة والذكر والصدقة والصوم والحج وغيرها أدوية للقلوب وأغذية جعل الله سبحانه بها شفاءها وحياتها لامرار مودعة فيها تطمئن بها القلوب وتنقاد بها النفوس "إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر"^٢ وأعمال التقوى من اتقاء الكفر ثم اتقاء البدعة ثم اتقاء المعاصي كالقتل والظلم والزنا شرط لقبول أعمال البر التي هي حرث الآخرة "إنما يتقبل الله من المتقين"^٣ كما أن الحيوية وسلامة الأعضاء والصحة شرط لكسب المعاش الذي هو حرف الدنيا ، فبالكفر يموت القلب ، وبالبدعة يعصى عن سلوك الطريق : أو من^٤ كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها" ، وبالمعاصي يمرض (القلب) فيضعف عن السير ، وبأعمال البر يصح ويشفى : "وأقم^٥ الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين" ، ومدار التقوى على كف القلب عن اعتقاد الكفر والبدعة ، وكف اللسان والسمع والبصر و

- ١- هو يحيى بن شرف الشافعي النووي (٦٣١-٦٧٦هـ) ، وقد طبع الأذكار النووية في مصر في سنة ١٩٥٥ع -
- ٢- ٢٩ (العنكبوت) ٤٦ -
- ٣- ٥ (المائدة) : ٢٨ -
- ٤- في الأصل حرف الدنيا وأراه محرفا ، وصوابه حرف الدنيا و هو من قولهم : حرف لعياله أى كسب من هاهنا و هاهنا -
- ٥- ٦ (الأنعام) ١٢٣ -
- ٦- ١٢ (هود) ١١٥ -

البطن و الفرج و اليد و الرجل عن فعل ما نهى الله عنه -

و أما الصلاح الذى هو ربح هذا السفر فهو الفوز بالجنة و النجاة من النار فى الآخرة و الاتصاف بصفات الابرار المتقين فى الدنيا : ”و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين و آتى المال على حبه ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و السائلين و فى الرقاب و أقام الصلوة و آتى الزكوة و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا و الصابرين فى البأساء و الضراء و حين البأس أولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتقون^١ . . . “ ان المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات و القانتين و القانتات و الصادقين و الصادقات و الصابرين و الصابرات و الخاشعين و الخاشعات و المتصدقين و المتصدقات و الصائمين و الصائمات و الحافظين فروجهم و الحافظات وذاكرين الله كثيرا و ذاكرات أعد الله لهم مغفرة و اجرا عظيما^٢ . . . ”ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون^٣ . . . “

الفصل الثانى فى سير المرید من نفسه الى قلبه المعبر عنه بالطريقة و هو التخلق بالخلق العظيم الذى أثنى الله به على رسوله الكريم ، و لهذا أيضا عدة و هو العلم الباطن ، و بضاعة و هو تزكية النفس عن الاخلاق المذمومة و تحليتها بالاخلاق الحمودة ، و ربح و هو الهداية و الفلاح -

١ - ٢ (البقرة) ١٧٨ -

٢ - ٣٣ (الاحزاب) ٣٦ -

٣ - ٨٣ (المطففين) ٢٣- ٢٧ -

٤ - فى الاصل ”تخليتها“ و هو تصحيف -

أما العلم الذى هو عدة هذا السفر فهو العلم بالمواع العالقة^١ عن الشروع فى السير و معرفة العوارض الحادثة فى أثناء الطريق الموجبة إما لحربان الوصول أو التخلف عن الرفعة و طول الطريق ، و معرفة القوادح المفسدة للبضاعة ، و معرفة البواعث الحادثة على تحمل مشاق السفر ، أما العوائق فكالدنيا و الشيطان و الحلق ، و أما العوارض فكالرزق و المخاوف و القضاء و الشدائد ، و أما القوادح فكالربا و العجب ، و أما البواعث فكالخوف و الرجاء -

و أما العمل الذى هو بضاعة هذا السفر فهو المجاهدة لقطع^٢ العوائق و دفع العوارض و صون البضاعة عن المفسدات ، أما علاقة الدنيا فقطعها بالزهد فيها ، و أما علاقة الخلق فقطعها بالعزلة ، و أما علاقة الشيطان فقطعها بالالتجاء الى الله و محاربته و معرفة مكائده ، و معرفة الزهد و حقيقته و معرفة شروط العزلة ، و أما الرزق فكفائته و الدفع بالتوكل على الله ، و أما المخاوف فكفائتها بالتفويض الى الله ، و أما القضاء فكفائته بالرضا ، و أما الشدائد فكفائتها بالصبر مع معرفة حقيقة التوكل و التفويض و الرضى و الصبر ، و أما الريا فالصيانة عنه بالاخلاص ، و أما العجب فالصيانة عنه برؤية الفضل و المنة لله تعالى ، فمعرفة هذه العوائق المانعة و العوارض القاطعة و أضرارها الدافعة هو على الطريقة ، و هو حقيقة التصوف ، و محله^٣ مستوفى بالكمال فى ربع المهلكات و ربع المنجيات من احياء علوم الدين^٤ ، و أحسن المختصرات

١- كذا ، و كان له أن يقول : العوائق المانعة حتى يصبح و يترتب عليه قوله

فيما بعد : "أما العوائق الخ -

٢- فى الاصل : "يقع العوائق" محرفا مصحفا -

٣- وفى الاصل محلة .

٤- من كتاب عجائب القلب الى آخر كتاب ذم الغرور من احياء علوم الدين ، و يشتمل عليه الجزء الثالث من طبعة الشيخ موسى الكنتى .

فيه منهاج العابدين^١ -

و أما الهداية والفلاح الذى هو ربح هذا السفر فهو حيازة زينة النفس
المطمئنة الموعود عليها بالرضى فى العقبى : يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى
ربك راضية مرضية^٢ ، والاستقامة فى الدين : ”والذين جاهدوا فىنا
لنهديهم سبلنا“^٣ ، و حيازة مقام الزهد فى الدنيا الموجب لمحبة الله : ازهد
فى الدنيا يحبك الله ، و مقام المعزلة الموجب لسلامة الدين ، و مقام الاتجاء
الموجب للكفاية : ”ان عبادى ليس لك عليهم سلطان“^٤ ، و مقام التوكل
الموجب لان يكون الله متوليا له فى جميع الامور : ”ومن يتوكل على الله
فهو حسبه“^٥ ، و مقام التفويض الموجب للراحة فى الحال و خيرة الله له
الصالح فى الاستقبال^٦ : ”و أفوض امرى الى الله ، ان الله بصير بالعباد...“
”فوقاهم الله سيئات ما مكروا“^٧ ، و مقام الرضى الموجب لرضى الله تعالى
”رضى الله عنهم ورضوا عنه“^٨ ، و مقام الصبر الموجب للتمكين فى الدنيا :
”وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا“^٩ ، و مضاعفة الاجر فى الآخرة :
”انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب“^{١٠} ، و مقام الاخلاص و الصدق
الموجب للقبول فى العقبى : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا

١- وهو ايضا للامام الغزالى رحمه الله ، و من أجمل شروحه شرح الشيخ فحلان
الكديرى المسمى سراج الطالبين على منهاج العابدين الى جنة رب العالمين .

٢- ٨٩ الفجر ٢٨-٢٩ .

٣- ٢٩ العنكبوت ٧٠ .

٤- ١٥ الحجر ٤٣ .

٥- ٦٥ الطلاق ٤ .

٦- ٤٠ المؤمن ٣٥ .

٧- ٩٨ البينة ٩ .

٨- ٣٢ السجدة ٢٥ -

٩- ٣٩ الزمر ١١ .

ولا يشرك بعبادة ربه احداً^١ ، والتحق بمقام العبودية في الدنيا : ” انه من عبادنا المخلصين^٢ “ و مقام رؤية الفضل من الله سبحانه الموجب للتوفيق والتأييد ، التحق^٣ بالشكر الموجب للمزيد : ” لئن شكرتم لازيدنكم و لئن كفرتم ان عذابي لشديد^٤ “ ، و مقام الخوف و الرجاء المتقدمين من الامن من مكر الله و من اليأس من روح الله : ” فلا يأسن مكر الله الا القوم الخسرون^٥ . . . ” ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون^٦ .

الفصل الثالث في سير المريد من قلبه إلى ربه المعبر عنه بالحقيقة ، وهو نحو ما سوى الله تعالى عن القلب بمداومة الانس بذكره ، و لهذا السفر ايضاً عدة وبضاعة و ربح ، أما عدته فهو صلاح الظاهر و الباطن الحاصلين من البر والتقوى الذي هو ربح السفر الاول ، و من الفلاح و الهدى الذي هو ربح السفر الثاني المشار اليهما بقوله صلى الله عليه وسلم : إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله (و إذا فسدت فسد الجسد كله^٧) ألا وهى القلب ، فصلاح القلب و الجسد شرط للتوجه لهذا السفر كشروط الصلاة من الطهارة عن الحدث و العيب و استقبال القبلة لأن هذا السفر هو صلاة القلب : ” قد افلح من تزكى و ذكر اسم ربه فصلى^٨ “ ، وهو مبدأ سفر الانبياء عليهم الصلاة والسلام : ” انى

١- ١٨ الكهف ١١١ .

٢- ١٢ يوسف ٥ و فى الاصل أنه كان من عبادنا المخلصين محرفاً .

٣- فى الاصل التحقيق .

٤- ١٤ ابراهيم ٨

٥- ٩ الاعراف ١٠٠

٦- ١٢ يوسف ٨٨

٧- التكملة من البخارى ، فى كتاب الايمان من باب فضل من استبهر لدينه :

٨- ٨٧ الاعلى ١٥-١٦

ذاهب الى ربى سيهدين^١“ . . . ”انى وجهت وجهى للذى فطر السموات
والارض^٢“ ، ومعنى الذهاب الى ربه و التوجه اليه العبور بالباطن و عما
سوى الله تعالى حتى لا يزول الالتفات الى السوى بالقلب ، و القلب بحيث لا
يكون له مطلب الا وجه الله تعالى فحينئذ يؤذن له فى القرب و يحصل له
الانس و الابتهاج بجمال الله و جلاله ، و ما دام ملتفتا الى غير
وجه الله تعالى من دين أو دنيا أو أجر أو أخرى أو منزلة عند الله تعالى أو
اقرب منه أو علم أو عمل أو كمال نفس أو التحاق بملك مقرب أو نبي
مرسل فهو محبوب عن ليل هذا المقصود لأن تلك المرادات و ان كانت
من أرفع المقامات فهى نوع من الشرك عند القوم ”وحسنات الأبرار سيئات
المقربين“ حتى المعرفة بالله لأنها مرادة لغيرها لكونها طريقا الى المعروف
المقصود بالذات ، و حقيقة العبادة أن تعبد الله لذاته و هو كونه مستحقا
لذلك الآن كما أنه مستحق لذلك قبل إيجاد الموجودات من العدم فيكون
العبد معه الآن كما كان فى الأزل كان الله ولا شئى معه و هو الان
على ما عليه كان فلا ينال القرب المحض فى هذا المقصد الا فقير موحد
متحقق بالفقر و التوحيد ليكون عبدا حقا فانه سبحانه كما لا يجب العمل
المشترك لا يجب القلب المشترك فالعمل المشترك لا يقبله والقلب
المشترك لا يقبل عليه .

و أما بضاعة هذا السفر فهى الانقطاع الى الله بالاعراض عما سواه
و ملازمة ذكره : ”و اذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا“^٣ ، وقال رسول
الله صلى الله عليه و سلم : سبق المفردون الذاكرون الله كثيرا ، و بذلك

١- ٣٧ الصفت ١٠٠

٢- ٧ الانعام ٨٠

٣- ٧٣ (المزمل) ٩ -

يحصل الانس ثم القرب ، و لذلك طريقتان افضلهما و أجملهما قدرا طريق السلف ، و هى مراقبة الاوقات و عمارتها بالاُوراد المشروعة من صلوة و ذكر و تلاوة مع الخضوع و الخشوع و حضور القلب و التدبر ، و من صوم و صدقة و حج بأدابها و استعمال اسرارها^١ الموجبة لتصفية القلب و تصقلبه التى هى طريق الى انتقاش جمال الحضرة الربوبية فيه كما ذكر ذلك الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى اسرار العبادات من الاحياء ، و قد جردتها لطالبها فعليك بها فهى الكنز الذى لا يكاد يظفر به فى غير الاحياء ، و قد انكشف لارباب البصائر ان المراد من الصلوة و الذكر أنس القلب بالله تعالى ، فانس القلب بالله سبحانه هو لباب العبادات و أعمال الظواهر قشوره التى لا يتوصل الى اللب إلا بها ، فاول مراتب الذكر ذكر اللسان و أعمال الجوارح ، و ثانيها ذكر اللسان مع تكلف حضور القلب ابتداء اذ طبعه الامترسال فى اودية الافكار ، و ثالثها أن يتمكن الذكر من قلب الذاكر ويستولى عليه بحيث يحتاج الى تكلف فى صرفه عنه الى غيره ، عكس الاول ، و رابعها و هو مقصود الذاكرين ان يتمكن المذكور من قلب الذاكر ، و هذه الحالة هى التى عبر عنها العارفون بالفناء و هو انتهاء سفر المرید و أول سفر الواصل كما سبقت الاشارة اليه ، و لكن الفناء و التمكن اول ما يكون للذاكر فى بعض الاوقات دون بعض ، فتسمى تلك احوالا ، فاذا دام واستمر سمي مقاما ، فاذا صار كذلك طالع الوجود الحقيقى الاُصفى و تجلت له حضرة الربوبية نقشا فى مرآة قلبه كما تتجلى السموات و الارض فى المرآة ، هذه الحالة هى ربح هذا السفر ، و اختصت هذه المكاشفات بحالة الفناء التى هى غيبة القلب عن هذا العالم كما اختصت الرؤيا التى هى نوع من المكاشفات بحالة النوم ، فمن وصل الى مقام الفناء بالسير على طريق السلف التى ذكرناها

١- و فى الاصل اشرارها و هو تصحيف .

تأهل لمقام البقاء بعد الفناء ، وهو مقام إرشاد العباد و تربية السالكين
ولعزته عز مقام الشيخوخة في هذه الازمنة الذي هو مقام الوراثة المحمدية
و اذا تعذر او تعسر ، ووجد المريد من قلبه إرادة صادقة فسيبيله ان يلتجئ^٢
الى الله سبحانه اولا و يرفع سترعليه ليهي^٣ له من أمره رشدا إما بدلالة أحد
من رجال الغيب و إما بتوفيق يلهمه إياه ، فهو سبحانه الذي يتولى الصالحين
و ليحذر ان يلتقى نفسه بحسب حسن ظنه الى اى شيخ يلقاه^٤ حتى يكثر
استخارة الله تعالى في ذلك و يشرح الله صدره لذلك فحينئذ ان دله الله
على شيخ يصلح للتربية فلا يفلح يعتقد ان معادته على يديه و أنه نائب عن
رسول الله صلى الله عليه و سلم في هدايته و تزكيته فيكون حينئذ معتقدا
لحرمته و تعظيمه و أنه على هدى من ربه ، و ليتلقى اوامره بالامتثال
و القبول التام ملقيا زمام نفسه اليه مطرحا لعلمه و عمله السابق ، حاملا
لما يصدر منه مخالفا لمعتقده على المحامل الحسنة فانه معه كالطفل بين يدي
أبيه ، و ليعتقد في نفسه الجهل ان كان عالما ، و النقص ان كان كاملا
ف فوق كل ذى علم عليم^٥ ، و لا يطلب الخلوة الا ان يأمره بها فهو أعرف
بمصلحته و أنصح له من نفسه فانه أمين الله و طبيب مرض النفوس ،
العالم بدائها ودوائها فان أمره بالخلوة فهو أعلم بما يأمره به من آدابها
و شروطها من ابتدائها الى انتهائها ، لكن ينبغي ان يعتقد ، اذا دخل الخلوة
بأمر شيخ ، انها كالقبر فيودع الدنيا و أهلها و لا يحدث نفسه بالخروج
منها ابدا ، و ليعلم شيخه^٥ بجميع اموره و ما يحدث له فيها من خاطر أو

١- و في الاصل : الوراثة محرفا -

٢- و في الاصل : يلقاه -

٣- ١٢ (يوسف) ٧٧ -

٤- في الاصل كالقبر محرفا -

٥- و في الاصل : شيخه -

هاتف أو رؤيا لانه الطبيب ، و الطبيب إنما يعالج بعد معرفة العلة فانه اذا كان عامل الشيخ بهذه المعاملة جائئه الاسداد الالهية و العلوم اللدنية ”و ذلك فضل الله ، يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم“ -

خاتمة ، من لم يتيسر له شيخ واراد دخول الخلوة فليقدم الاغتسال و غسل ثيابه و مصلاه و يهيئ أسبابه بحيث لا يحتاج الى الخروج و يرتب لحوادثه من قوت و غيره صديقا لا يجتمع بغيره و لا به الا في وقت معين ، و لتكن الخلوة بعيدة عن الاضواء ، و ليصل في الخلوة ركعتين بنية التوبة ثم يحدو^٢ كلمتي الشهادة بصدق و حضور قلب ثم يتوب الى الله تعالى توبة ندم^٣ و بكاء و تضرع بحيث يطاع الله منه على صدقه و عزه ان لا يعود الى معصية أبدا ، ثم ليلازم الجوع فيكون صائما مقتصرًا على قدر معلوم من الطعام و الماء ، مقتصد الا يزيد عليه أبدا و لا يكثر منه فيظلم القلب و يشغل الاعضاء عن الطاعة و الا يقلل منه جدا فتضعف القوى ، و ليكن حالًا طيبًا بحسب اعتقاده بعد اجتهاده فان الحلال له تأثير عظيم في تنوير القلب ، و ليلازم السهر فلا ينام الا في وقت معلوم فان كثرة النوم تميّت القلب ، و ليلازم الذكر فيقتصر على ملازمة ذكر واحد لا يتركه إلا في حالة الفرائض اوروايتها ، و الافضل عند الامام الغزالي رحمه الله و غيره ان يكون ذكره لا اله الا الله متدبرا لمعناها صارفا للوسواس^٤ عن قلبه متكلفا لذلك غاية جهده فاراً ”الى الله بباطنه ملتجئ اليه مستعيذاً به“^٥ من الشيطان الرجيم حتى تألف نفسه الذكر بحيث يجري على لسانه و يخطر

١- ٥٧ (الحديد) ٢٢ -

٢- و في الاصل : يحدو ،

٣- و في الاصل قدم و هو تحريف -

٤- و في الاصل للوسوس -

٥- و في الاصل مستعيذا محرفا -

بباليه بغير اختياره^١ فانه حينئذ يعود الى حالة لا يحتاج الى كلفة في صرف الوسواس عن قلبه ثم الى حالة لا ينصرف قلبه عن الذكر إلا بكلفة ثم الى حالة يتمكن الذكر في قلبه بحيث ينمحي أثر اللسان و يبقى في ذهنه المعنى مجردا عن اللفظ لا بزايل ذهنه ، ويكون القلب حاضرا ذاكرا على الدوام من غير لسان ثم يعود الى حالة بحيث لا يبقى فيه جزء إلا ذاكرا لله ناطقا بذلك الذكر بعينه بحيث يظن من يسمعه ان معه في خلوته الف ذاكرا لله ثم يغلب^٢ عليه حال الذكر فلا ينظر في الوجود شيئا يقع عليه نظره الا معلنا بذلك الذكر بعينه بحيث لو كان عنده الف شخص كل منهم يذكر بذكر مخالف للآخر لم يسمعه ينتظرون الا بذكره الذي غلب عليه ، و حينئذ يبقى منتظرا لما يفتح الله به على قلبه من رحمته و علم غيبه ، و اول ما يظهر لهم غالبا انوار إلهية كانها البرق الخاطف تلمع بسرعة و يختفى و هي لذیذة^٣ جدا يحصل بوجودها الوجد و باختفائها الحنين اليها ، و ربما كانت بطيئة العود ، و ربما غشيتها انوارها فيضطرب و يغيب عن حسه و يصيح و يصعق لمفاجأة ما ليس بمعتاد ، فاذا الفها انس بها و اطمأنت بها نفسه حتى يصير وجودها ، و هو حاضر بيقين ، كعدها فيظنون انه حاضر و هو غائب القلب عنهم ثم يصير قلبه بالمرآة المجلوة فيكون مقابلا للمجانب القدس فيصير كل شئ كأنه مشاهد للحق سبحانه علما و حالا فانها عن نفسه فضلا عن خيرها فحينئذ يعبد الله كأنه يراه و يشهده ، أقرب اليه من حبل الوريد رقيقا عليه فيعبر عن هذه الحالة بالفناء و بالوصول و بالقرب و هو مقام الاحسان المشار اليه^٤

١- و في الاصل اختاره -

٢- و في الاصل بقلب ،

٣- و في الاصل لزيدة محرفا -

٤- و عبارة الاصل : و هو المقام الاحسان و المشار و اراه محرفا -

بقوله صلى الله عليه وسلم : ان تعبد الله فأنك تراه ، و هو آخر سير
المريد و يتبدى في السفر الى الله اى في معرفة الله و معرفة اسمائه و صفاته
العلی و نسال الله تعالى ان يجعلنا من رقاہ بفضلہ الى المقام الاسمى و قال
فيه : ”فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناہ رحمة من عندنا و علمناہ من لدنا
علما“^٢ بمنہ و کرمہ وجودہ و نعمہ و صلى الله على سيدنا محمد و آلہ
و صحبہ و سلم^٣ تسليما -



١- كذا ، و هو غريب بهذا اللفظ ، و رواه البخاري في كتاب الإيمان في باب سوال
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم و لفظه : ”قال ما الاحسان قال ان تعبد
الله كأنك تراه فان لم يكن تراه فإنه يراك و ايضا راجع صحيح مسلم كتاب
الإيمان الحديث الاول منه -

٢- ١٨ (الكهف) ٦٦ ، و في الاصل : ”و علمنا من لدنا و علما“ و هو تحريف
قبيح -

٣- و في الاصل ”و السلم تسليما“ -